قداس شخصي

لمحات لاهوتية عن الليتورجية – ٢

للقمص مينا المتوحد (قداسة البابا كيرلس السادس)

دكتور

جورج حبيب بباوي

١٩٥٧ – ٢٠٢٣

www.coptology.org

– ١ –

القربان

هذه كلمات أبي الساكن في المجد[١]. غطس في صلوات الكنيسة من رأسه حتى قدميه. كان كل يوم يقدِّم الذبيحة الإلهية، وبعد الخدمة يقابل الناس، ويختفي بعد ذلك في القلاية...

هذه الكلمات تعود إلى ثلاث سنوات في كنيسة مار مينا – مصر القديمة التي كان يريد لها أن تصبح ديرًا، وكتب منها رسالة "ميناء الخلاص"، وقد أصدر منها بعض الأعداد، ولكن المشروع توقف بسبب نقص الأموال...

قال لي: قداسك الشخصي موازٍ لقداس الكنسية. يجب أن تتعلم كيف تصلي في مدرسة القداس الإلهي، لأن مدرسة القداس هي مدرسة الذبيحة الإلهية، ونحن ندخل هذه الخدمة لكي نكون ذبائح روحية مخصَّصة للرب نفسه.

المذبح هو مكان تسليم الإرادة اليومي، وهو ما نعود إليه كل يوم لكي يتجدد هذا التسليم. عند المذبح نقدم القربان، وحاول أن تفهم، لأن أحد مفاتيح القداس هو عبارة "وقدَّسه".

"نقدم لك هذه القرابين مما لك على كل حال ومن أجل كل حال وفي كل حال". ولو رجعت إلى الأصل القبطي فهو أفضل لك لأن المعنى فيه واضح؛ لأننا نقدم ما قدَّمه الرب، وهو أعطانا أن نقدم وأوصانا: "اصنعوا هذا لذكري"، وهنا علينا أن نقدم ذواتنا مع

---

(١) ذكريات شخصية مع القمص مينا المتوحد في كنيسة مار مينا – مصر القديمة ١٩٥٦ – ١٩٥٩ نُقلِت عن كراسة قديمة بتاريخ ١٩٥٧.

تقديم القربان؛ مع الخبز والخمر، لأن الجسد هو للرب، ولذلك نحن نقدمه. "وعلى كل حال" تعني في كل فعل ومن أجل كل الأفعال التي نفعلها. "وفي كل حال" تعني دائمًا.

وفي أوشية القرابين: "اذكر يا رب الذين قدَّموا لك هذه القرابين والذين قُدِّمت عنهم والذين قُدِّمت بواسطتهم". في بداية الخدمة نصلي من أجل الأب والأم، فهؤلاء هم الذين أتوا بنا إلى العالم، ولهم الفضل الأول في وجودنا في هذه الحياة، هم وسطاء لنعمة الله، ولذلك صلّي من أجل أبوك وأمك واخواتك، وأبوك الروحي والذين قُدِّمت عنهم، أي الذين نخدمهم والذين رقدوا في الإيمان، وهم الذين تقدَّم عنهم هذه الذبيحة ليكون لهم معنا ذات نصيب الحياة الأبدية.

هذا هو أحد جوانب القداس الشخصي لي ولك.

قدِّم ذاتك يا ابني للرب، لأنك بهذا التقديم تبقى دائمًا في دائرة التقديس، وحتى لو خرجت منها بالخطية، تعود إليها لأنك دُعيت لميراث أبدي، والرب يسوع الراعي الصالح لا يسمح بأن يفصلك عنه شيء لأن مراحمه أعظم من أفعالنا، وهو لا يعاملنا حسب أعمالنا.

– ٢ –

استدعاء الروح القدس

عندما سألني القمص مينا المتوحد: هل تصلي معي صلاة استدعاء الروح القدس أثناء القداس الإلهي؟ فوجئتُ بالسؤال وقلت: لا. فقال: ليه؟ فقلت لأنها صلاة الأب الكاهن. فقال: يعني ده صحيح، ولكن ليه بيصلي بلغة الجمع، لغة الكنيسة كلها: "ارسل علينا وعلى هذه القرابين"؟ فقلت له لا أعرف. فقال: صلاة استدعاء الروح القدس هي صلاة الكنيسة كلها والأب الكاهن يقود الكنيسة، ويجب أن نصلي معه صلاة استدعاء الروح القدس لأنك موش واقف هنا فُرجة.

ثم قال: صلّي زي أبوك مينا ما بيصلي: يا رب يا من تحوِّل هذا الخبز وهذا الخمر بروحك القدوس حوِّل جسدي بروحك القدوس وفي شركة جسدك ودمك ليكون جسدك وخادمك في هذا العالم.

قول معايا وردد هذه الكلمات عدة مرات.

وصارت هذه الكلمات صلاتي وانفتح الوعي الداخلي على رؤيا أعظم وأكمل.

وبعد عدة أيام قلت له يا قدس ابونا؛ وانت بتصلي في القداس: "وهذا الخبز يجعله جسدًا مقدسًا"، هل ممكن أصلي في سري: "وهذا الجسد، يعني جسدي، اجعله جسدًا مقدسًا لك؟" فقال لي يا ريت تبقى أخدت الابتدائية.

وهتقول أيه عن الكأس؟ ولم أكن قد فكَّرت، فقال لي: وتقول كمان مع تقديس الكأس "وهذه الروح، يعني روحك أنت، اجعلها كأس محبتك لكي تمتلئ بالمحبة الإلهية

بالروح القدس"، لكن إياك تنسى أن ده عمل الروح القدس، ولازم تذاكر كويس الرسالة الثانية من رسائل أبونا أنطونيوس الكبير وشوف بيقول ايه عن الروح القدس الناري اللي لازم تطلبه ليل ونهار.

-٣-

القسمة

كان أبي ينتعش وهو يصلي كل يوم صلاة القسمة. يعلو صوتٌ خالٍ من التعب. ورغم أن الشملة كانت تحجب وجهه إلَّا أن إشراق نور كان يظهر على وجهه من آنٍ لآخر.

ولكل مناسبة ليتورجية صلاة القسمة الخاصة بها، ولذلك فإن إدخال صلوات قسمة جديدة لا علاقة لها بالترتيب الكنسي الخاص بحياة الرب يسوع هو جهلٌ بالتسليم الكنسي، وحتى في صوم القديسة مريم لا توجد صلاة قسمة خاصة بالعذراء، والذين انحرفوا عن التسليم إلى ما له أصول في قداسات الأحباش لا يدركون أن صلاة القسمة خاصة بما في أيدينا؛ جسد ودم عمانوئيل، وأم النور هي شاهد عظيم له، ولكنه ليس جسد أم النور، بل جسد ربنا يسوع ودمه، هذا هو بالحقيقة آمين.

عندما سألت عن تنوع صلوات القسمة قال لي: حسنًا قلت إن الصلوات تتنوع، ولكن التوزيع واحد، والقسمة هي توزيع الميراث، أي جسد الرب يسوع المسيح ودمه الأقدسين.

وطقس القسمة سرّي لم يُكتَب، وكان يحيرني، فقد كنت أريد أن أعرف، ولكنه نقلني من حُب الفضول والاستطلاع إلى الجانب الشخصي.

عندما ترى الجسد مرفوعًا ويد الكاهن على الاسباديقون وهو يقول: وشكر ويرشم الصليب، عليك أنت أيضًا أن ترشم الصليب لكي توحِّد ذاتك بالتقديم.

وعندما يقول: وبارك، ارشم الصليب لكي تنال بركة الصليب، وهي قوة إبادة الموت والقيامة. وعندما يقول: وقدسه، قل مع رشم الصليب كلمات الرب يسوع: "لأجلك أقدس ذاتي"، وقدسني يا رب يسوع بحقك، وحقك هو الروح القدس المعزي روح الحق.

عندما تبدأ صلاة القسمة يكون جسد الرب في يد الكاهن، وهو يصلي كل ما يخص تدبير الخلاص، ولذلك، الذي يوحِّدنا بميلاد الرب وتجسده هو جسد الرب ودمه. ليس لدينا علاقة عقلانية أو نفسانية مع الرب، بل علاقة روحية، أي من الروح القدس. ما هو روحي هو من الروح القدس. مفيش حد اسمه أو صفته إنه روحاني إلَّا إذا كان مملوء من الروح القدس، أمَّا الذين لهم سلوك الهدوء والتواضع والصمت، فهؤلاء ليسوا روحانيين، بل هم مهذبون بالأخلاق النسكية.

نحن نتناول من الجسد والدم لكي نمتلئ من الروح القدس، ولذلك، الروحاني ليس هو مَن له سلوك اجتماعي محبوب، بل مَن له شركة حقيقية مع الرب يسوع بالروح القدس.

ومع كل استيخون "مقطع" من صلاة القسمة يتوقف الكاهن ليقول الشعب "يا رب ارحم"، لأننا مهما قلنا ومهما قررنا، فإن رحمة الرب يسوع هي التي توحِّدنا بالذبيحة الإلهية؛ بالميلاد وبالمعمودية وبالصوم والصلاة والموت المحيي والقيامة المجيدة.

أمَّا ما هو أعظم، فهو أن كل "جوهرة" من جسد الرب ودمه[١] هي ميراث كل شخص في الكنيسة لأن الرب يسوع مات عن كل واحد منا، ولذلك مع كل جوهرة في الجسد المحيي نقول: "يا رب ارحم" لكي نكون رحماء مع خليقة الذي بكثرة رحمته أعطانا جسده ودمه لكي نحيا به.

---

(١) نحن لا نتكلم عن أجزاء من جسد الرب بالمرة، لأن جسد الرب لا يتجزَّأ، بل كل ما يؤخذ مهما كان حجمه، فهو جوهرة.

صلاة القسمة يا حبيب أبوك هي إنذار يعني أن كل مَن هو من الكنيسة ويتناول، قد صار واحدًا مع الرب يسوع المسيح، وعليك أن تكون على حذر، وبكل محبة وحكمة عامله كما تتعامل مع الرب يسوع نفسه.

كان التعليم صعبًا ولا زال لأن هذا هو "كمال المحبة".

+ + +